

تفسير أبي السعود

36 - آل عمران .

على الحالية من الموصول فيه نذرت وقيل من ضميره في الصلة والعامل معنى الاستقرار فإنها في قوة ما استقر في بطنى ولا يخفى أن المراد تقييد فعلها بالتحريم ليحصل به التقرب إليه تعالى لا تقييد ما لا دخل لها فيه من الاستقرار في بطنها .

فتقبل منى أي ما نذرتة والتقبل أخذ الشئ على وجه الرضا وهذا في الحقيقة استدعاء للولد إذ لا يتصور القبول بدون تحقق المقبول بل للولد الذكر لعدم قبول الأنثى .
أنت أنت السميع لجميع المسموعات التى من جملتها تضرعى ودعائى .

العليم بكل المعلومات التى من زمرتها ما في ضميرى لاغير وهو تعليل لاستدعاء القبول لا من حيث أن كونه تعالى سميعا لدعائها عليما بما في ضميرها مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث أن علمه تعالى بصحة نيتها وإخلاصها مستدع لذلك تفضلا وإحسانا وتأکید الجملة لعرض قوة يقينها بمضمونها وقصر صفتى السمع والعلم عليه تعالى لعرض اختصاص دعائها به تعالى وانقطاع حبل رجائها عما عداه بالكلية مبالغة في الصراحة والابتهال .

فلما وضعتها أي ما في بطنها وتأنيت الضمير العائد إليه لما ان المقام يستدعى ظهور أنوثته واعتباره في حيز الشرط إذ عليه يترتب جواب لما أعنى قوله تعالى .

قالت رب إنى وضعتها أنثى لا على وضع ولد ما كأنه قيل فلما وضعت بنتا قالت الخ وقيل تأنيثه لأن ما في بطنها كان أنثى في علم الله تعالى أو لأنه مؤول بالحيلة أو النفس أو النسمة وأنت خير بأن اعتبار شئ مما ذكر في حيز الشرط لا يكون مدارا لترتب الجواب عليه وقوله تعالى أنثى حال مؤكدة من الضمير أو بدل منه وتأنيثه للمسارة إلى عرض ما دهمها من خيبة الرجاء أو لما مر من التأويل بالحيلة أو النسمة فالحال حينئذ مبينة وإنما قالته تحزنا وتحسرا على خيبة رجائها وعكس تقديرها لما كانت ترجو أن تلد ذكرا ولذلك نذرتة محررا للسدانة والتأكيد المرد على اعتقادها الباطل .

وأعلم بما وضعت تعظيم من جهته تعالى لموضوعها وتفخيم لشأنه وتجهيل لها بقدره أي وأعلم بالشئ الذي وضعته وما علق به من عظام الأمور وجعله وابنه آية للعالمين وهي غافلة عن ذلك والجملة اعتراضية وقرئ وضعت على خطاب الله تعالى لها أي أنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما أودع الله فيه من علو الشأن وسمو المقدار وقرئ وضعت على صيغة التكلم مع الالتفات من الخطاب إلى الغيبة إظهارا لغاية الإجلال فيكون ذلك منها اعتذارا إلى الله تعالى حيث أتت بمولود لا يصلح لما نذرتة من السدانة أو تسلية لنفسها على معنى لعل الله تعالى

فيه سرا وحكمة ولعل هذه الأنثى خير من الذكر فوجه الالتفات حينئذ ظاهر وقوله تعالى .
وليس الذكر كالأنثى اعتراض آخر مبين لما في الأول من تعظيم الموضوع ورفع منزلته واللام
في الذكر والأنثى للعهد أي ليس الذكر الذي كانت تطلبه وتتخيل فيه كما لا قصاره ان يكون
كواحد من السدانه كالأنثى التي وهبت لها فإن دائرة علمها وأمنيته لا تكاد تحيط بما فيه
من جلائل الأمور هذا على القراءتين الأوليين وأما على التفسير الأخير للقراءة